- ٢ -

في أثناء هذه الإقامة الأولى خارج بستان النخيل كان أن تحدّث الأب والابن عن «مريم». فلم يكونا من قبل قد ذكراها، وحتى في ذلك اليوم نجح «ماني» في عدم لفظ اسمها. فقد قال ببساطة:

ـ أتراك علمت ما آلت إليه؟

كانا يمشيان جنباً إلى جنب في درب هادئ من دروب (المدائن) وكلاهما ساهمان منذ مدة. وكان الوقت فجراً، ولم تكن الشمس قد صبّت لظاها بعدُ على المدينة التي كانت تستيقظ على مهل في عذوبة نسمة نَهْرِيّة عليلة. ولم يتردّد «پاتيغ». وكان الأمر كما لو أن كُتب أن ينضمّ ذلك الطيف الذي يرفرف بينهما منذ ربع قرن إلى هذا الاجتماع المتأخّر.

ـ كنت قد مررت مجدّداً بـ (ماردين) منذ بضعة أعوام. وفي حديقة منزلنا القديم أَرَوْني قبرها. لقد كنت أودّ أن أوضح لك بعض الأمور يا «ماني»...

غير أن الابن جمد في مكانه بشكل مفاجئ انغرست معه عصاه في الأرض. واتّخذت راحته المنتصبة قريباً جدّاً من وجهِ أبيه تلك الحركة التي كان يستخدمها هذا الأخير فيما مضى لقمع زوجته، وهي حركة كانت تعني «ولا كلمة».